

الأوضاع الصحية في عهد دولة الأمير عبد القادر 1832م - 1847م
Health conditions during Emir Abdelkader state era 1832 – 1847

حليلى بن شرقي
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث
في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
b.helili@univ-chlef.dz

صلاح الدين شواش*
مخبر تاريخ الإنسان والعمران والتراث
في منطقة حوض الشلف
جامعة الشلف (الجزائر)
s.chouach92@univ-chlef.dz

المعلومات المقال	المخلص:
تاريخ الإرسال: 2022/09/15 تاريخ القبول: 2022/10/31	إن الوضع الصحي هذا كان له تأثير كبير على شتى الميادين الاجتماعية والاقتصادية والديمقراطية والثقافية، ويعتبر الجانب الصحي من أبرز الجوانب المتعلقة بحياة الإنسان وتاريخه ويمثل المرآة العاكسة لحالته وتبرز الوجه العام للحكام والزعماء بما يقدمه في سبيل تقديم الرعاية الصحية وإسهاماته في الجانب الطبي والصحي إلى مجتمعه، والأمير عبد القادر واحد من هؤلاء الذين تركوا بصمة في إسهاماته في الجانب الصحي، على الرغم من الجزائر في تلك الفترة عرفت عدة مشاكل السياسية والاجتماعية التي كانت بسبب الاحتلال الفرنسي التي أثرت بشكل جلي على الأحوال الصحية للمجتمع الجزائري خلال عهد الأمير عبد القادر عرفت انتشار الأوبئة والأمراض في الجزائر وكذا التدهور المعيشي للمجتمع الجزائري ونحاول في هذه الدراسة معالجة إسهامات الأمير عبد القادر في الرعاية الصحية والطبية للمجتمع الجزائري، ومعرفة أهم الأوبئة والأمراض المنتشرة في الجزائر، والآثار المترتبة عنها، والأساليب التي اعتمدها الاستعمار الفرنسي في صدّ هذه الأوبئة.
الكلمات المفتاحية: ✓ الأمير عبد القادر ✓ الأوبئة ✓ الطب ✓ المراكز الصحية	
Article info	Abstract:
Received: 15/09/2022 Accepted: 31/10/2022	The present health status had a significant effect on various economic, social, demographic and cultural fields Emir Abdelkader is one of those who left a very important mark by his contributions in health aspect, although, Algeria knew a several political and social problems during this period, that was caused by French occupation that has largely affected the sanitary conditions of the Algerian society during the reign of Emir Abdelkader, he knew a spread of epidemics and diseases in Algeria, as well As a life degradation of the Algerian society, the study will try to treat the contributions of Emir Abdelkader in medical and health-care of the Algerian society, and know the most important epidemics and diseases among in Algeria, their impacts and consequences, and then the methods that the French colonialism has adopted in repelling those epidemics.
Key words: ✓ Emir Abdelkader ✓ Epidemics ✓ medicine ✓ health centers ✓ Algeria	

يعد الأمير عبد القادر رمزا من رموز تاريخ الجزائر المقاومة وإحدى الشخصيات الجزائرية البارزة في التاريخ العربي والإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، والذين ظهروا في تاريخ الجهاد والمقاومة الاحتلال الفرنسي، وحيث صنعت شخصيته الوطنية أمجاد تاريخ الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي طيلة سبع عشرة سنة من المقاومة ضد الفرنسيين، وكذا بتأسيس الدول الجزائرية الحديثة، وقد حقق الأمير عدة إنجازات في الميدان السياسي والعسكري والديني والثقافي والصحي، واهتم بها أيما اهتمام وحمل هموم المجتمع الجزائري، ودافع عن بلاده بصلافة وشدة، وعُرف أنه قائد عسكري عبقرى، وزعيم محنك، ودبلوماسي محنك، ومتقفا غزير المعارف، وقد حظي بالاهتمام الواسع بشخصيته وخصاله الحميدة، ومواقفه القديرة وبطولاته التاريخية وقد قاوم أكبر قوة في عصره.

تمتاز مقاومة الأمير عبد القادر بمفهومها الواسع، وأبعادها المستقبلية، لأنها لم تقتصر على تعبئة المواطنين لردّ الاحتلال الفرنسي بل وسع مجالات المقاومة، واعتبر كل مجال جزءا من المقاومة، وحلقة أساسية فيها، ومن هذه المجالات: الإدارة، الثقافة، التكوين العقائدي والعسكري، الصحة، الاقتصاد. وسطر بسيفه الأحداث الوطنية والمعارك العسكرية وسطر بقلمه الصفحات الفكرية والوقائع التاريخية.

ويعتبر الجانب الصحي من أبرز الجوانب المتعلقة بحياة الإنسان وتاريخه ويمثل المرآة العاكسة لحالته وتبرز الوجه العام للحكام والزعماء بما يقدمه في سبيل تقديم الرعاية الصحية وإسهاماته في الجانب الطبي والصحي إلى مجتمعه، والأمير عبد القادر واحد من هؤلاء الذين تركوا بصمة في إسهاماته في الجانب الصحي، على الرغم من الجزائر في تلك الفترة عرفت عدة مشاكل السياسية والاجتماعية التي كانت بسبب الاحتلال الفرنسي التي أثرت بشكل جلي على الأحوال الصحية للمجتمع الجزائري خلال عهد الأمير عبد القادر عرفت انتشار الأوبئة والأمراض في الجزائر وكذا التدهور المعيشي للمجتمع الجزائري ونحاول في هذه الدراسة معالجة إسهامات الأمير عبد القادر في الرعاية الصحية والطبية للمجتمع الجزائري؟ ومعرفة أهم الأوبئة والأمراض المنتشرة في الجزائر؟ والآثار المترتبة عنها؟ والأساليب التي اعتمدتها السلطات الفرنسية في صدّ هذه الأوبئة والأمراض التي رافقت الجيش الفرنسي أثناء حملاته الأولى في الجزائر؟ ومن خلال بناء المستشفيات والمستوصفات العسكرية والمدنية لصالح الجيش الفرنسي والمستوطنين، واستغلال المراكز الدينية والأملاك الخاصة من أجل تحويلها إلى مستشفيات وصيدليات وعيادات.

تهدف هذه الدراسة إلى:

- التعرف على تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري في سيرته ونشأته، وبناء الدولة الجزائرية الحديثة تحت أسس ومبادئ تتماشى وطبيعة المجتمع الجزائري.
- يتناول هذا المقال بالدراسة والتحليل الأوضاع الصحية في دولة الأمير عبد القادر التي أولى لها اهتماما كبير امن الرعاية الصحية والطبية.

- أهم الأوبئة والأمراض التي عرفت الجزائر خلال عهد الأمير عبد القادر في ربوع البلاد، وكيفية تعامل السلطات الفرنسية مع هذه الأوضاع الصحية، وآثارها على المجتمع الجزائري
- التنظيمات الصحية التي وضعتها فرنسا في الجزائر لمواجهة الأوبئة والأمراض، ومعرفة الإجراءات الصحية التي اتخذتها لصد شدة وحدة الأوبئة.

1. التنظيم المؤسسي لدولة الأمير عبد القادر

1.1. نشأة ومولد الأمير عبد القادر

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الهاشمي الحسني من قبيلة بني هاشم العربية، ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة في 23 رجب سنة 1222هـ/سبتمبر 1807م¹، وكان رابع إخوته، ولد في قرية تسمى "القيطنة" على ضفة وادي الحمام في منطقة غريس التي تقع في إقليم وهران في الجزائر، وهي على بُعد حوالي عشرين كيلومترا عن مدينة معسكر، وتربى في رعاية والده الذي مال إليه ميلاً خاصاً فتعهد أمر تربيته بنفسه، وأحاطه برأفته وحنوّه فكان بذلك موضوع اهتمام خاص وعطف مميز، حيث نشأ الأمير في محيط ديني علمي ثقافي مكنه ذلك من اكتساب ثقافة واسعة، في الرابعة من عمره التحق عبد القادر بمدرسة والده محي الدين في القيطنة عام 1811م، ليتلقى تعليمه الأول، فحفظ القرآن ودرس الحديث، واستوعب مبادئ العلوم الدينية واللغوية، وفي الرابعة عشر من العمر حصل على تسمية الحافظ، سافر سنة 1821م إلى مدينة وهران التي بقي فيها سنتين، وفي الخامسة عشر تزوج ابنة عمه لالة خيرة، وقام بأداء فريضة الحج في شعبان 1230هـ/مارس 1825م². تكوّن الأمير تكويناً ثقافياً متشعباً بروح الدين، وفسح له المجال للتطلع على مختلف ثقافات العالم من خلال أسفاره ورحلاته والدارسات والثقافات العديدة التي اطلع عليها وانكباه على دراسة الكتب والمؤلفات، وبذلك تكوّن لديه رصيد معرفي علمي هام وثقافة موسوعية ثرية، وولع بالفروسية واستخدام السلاح حتى اشتهر بهما، وعُرف بين أقرانه بالجد والاجتهاد³. وافته المنية في منتصف ليلة السبت 19 رجب 1300هـ/24 مايو 1883م في قصره بمصيف دمر عن عمر ناهز ستة وسبعين عاماً كلها كفاح وجهاد وبطولة، ونقل جثمانه إلى داره بدمشق.

2.1. تنظيم الجيش العسكري وتقسيمه

بعد احتلال فرنسا لأرض الجزائر التحق عبد القادر صحبة أبيه بمواجهة الفرنسيين فاشتهر أمره، وعُرف بشجاعته، وحُسن تدبيره وحنكته وصبره وجَلده في أول اشتباك مع القوات الفرنسية عند أسوار مدينة وهران، وهذا ما أهّله ليتولى قيادة الجيش بعدما اعتذر أبوه الشيخ محي الدين عن اضطلاع هذه المهمة، فبُوع عبد القادر للجهاد عند الشجرة الدردار بسهل غريس في رجب 1248هـ/27 نوفمبر 1832م⁴، وحصلت له البيعة العامة بمعسكر 13 رمضان 1248هـ/4 فيفري 1833م⁵. وما انتصب عبد القادر أميراً، حتى بادر بتنظيم أمور الدولة فأسس مجلساً للوزراء، ومجلساً للشورى، وشرع في تكوين جيش وطني وفي إنشاء المؤسسات، وسك العملة وقسم البلاد إلى ولايات، ونصّب على كل رأس كل ولاية خليفة كما حدّد الأهداف من

المقاومة ومن تأسيس الدولة⁶، حيث عمل الأمير على تأسيس دولة عصرية قوية متحدة لها أسس ونظام وجيش عصري، من خلال إصلاح الأحوال وتنظيم الجند والاستعداد للقتال، وعلى تقوية الجهاز المركزي واختيار قادة أكفاء وكسب تأييد الشعب الجزائري.

واستقدم الأمير المتطوعين وألف السرايا وجمع القبائل للدفاع عن الوطن، حيث قام بتكوين جيش جزائري منظم، وقوي، ومنتشر في مختلف أنحاء الدولة وتحت إشراف خلفائه، كما أكسبته معاركه ضد المستعمر خبرة وتجربة كافية أهلته لحسن التدريب على استعمال أحدث الأسلحة، كما قام بتشييد الحصون وإقامة القلاع في كل من (سيبدو، تاقدامت، تازة، سعيدة، بوغار)⁷، وإقامة ورشات لصناعة الذخيرة والأسلحة في مراكز: (المدينة، مليانة، معسكر، تلمسان، تاقدامت)⁸.

قام الأمير عبد القادر ببناء جيش عصري يضاهي في تنظيمه وتسليحه وكفاءته القتالية جيش العدو، حيث تألف جيش الأمير عبد القادر من فئتين هما: الجيش النظامي، والجيش غير النظامي. وكان الجيش غير النظامي في صفوف الأمير يتكون من المتطوعين الذين كانوا يلبنون نداء الجهاد، بلغ عددهم 83 ألف مقاتل من فرسان ومشاة مطلع سنة 1838م، و 53 ألف عندما خاض الأمير الحرب ضد الفرنسيين سنة 1839م⁹، وحسب هنري تشرشل بلغ عددهم حوالي 60 ألف محارب، وشكل هذا الجيش القسم الأكبر من جيش الولاية¹⁰. وأورد كذلك مارسيل اميريت عدد جنود الأمير بـ 58960 رجلا، منها 5960 قوات نظامية¹¹، وقد كانت تستخدم هذه الوحدات في المحافظة على الأمن والنظام العام داخل إقليم الأمير.

أما بالنسبة لتعداد الجيش النظامي فيصعب تحديد العدد بالضبط لاختلاف المصادر التي تقدمها، وعدم توفر المعلومات الدقيقة، سنحاول إعطاء صورة أولية لتعداد الجيش، حيث أشار ديميشال سنة 1834م إلى أن الأمير يمتلك 12 ألف فارس، وفي شهر جوان بلغت القوات النظامية في شهر جوان سنة 1838م حوالي 4400 جندي، 920 مشاة، 140 مدفعيا يديرون 12 قطعة مدفع¹². وضع لهذا الجيش نظام دقيق للترقية في الرتب مع تمييز بين مختلف الأسلحة، كما خص كل صنف من قواته ببذلة مميزة، وحدد رواتب الأفراد ونظام التغذية ووضع قانون العقوبات والجرائم العسكرية والأجهزة القضائية العسكرية¹³، تسلح هذا المعسكر بأسلحة بسيطة¹⁴. واتخذ الفرنسيون في حربهم ضد الأمير عبد القادر أسلوب الحرب الشاملة المعروفة حديثا بـ "الأرض المحروقة" انتهجها الجنرال بيجو، حيث قام برفع عدد القوات الفرنسية العاملة بالجزائر من 83 ألف إلى 108 ألف جندي، وهو ثلث الجيش الفرنسي الذي كان يعتبر آنذاك أول الجيوش البرية في العالم، فضلا عن تجنيد عشرة آلاف عون ومتطوع من قبائل المخزن في صفوف الجيش الفرنسي ليكونوا طلائعهم وعيونهم في حرب العصابات التي كان يشنها الأمير عبد القادر¹⁵، وواجهوه بأبرز جنراتهم الذين أصبحوا فيما بعد يفتخرون بأنهم نالوا أوسمتهم وترقياتهم بفضل المعارك التي خاضوها ضد الأمير عبد القادر¹⁶. خاض الأمير أعنف المعارك وقاد أعظم حرب تحريرية، بلغت أشهر الوقائع الحربية التي خاضها الأمير ثمانية وثلاثون معركة

وهي تمثل صراعا بين الحق والباطل ومعركة بين الروح التحريرية ونزعة الاستعمار كان النصر فيها للحق والروح التحريرية¹⁷.

3.1. الاهتمام الثقافي والتعليمي في دولة الأمير عبد القادر

اهتم الأمير بالأوضاع الثقافية اهتماما كبيرا، وقد كان تعليم المواطنين من بين انشغالاته، فقد عمل على تنظيم مستوياته وأطواره، ويظهر ذلك من خلال موقفه من العلماء والطلبة وطريقة تنظيمه لهذه القطاع في دولته، فقد أدرك أن نجاح مقاومته مرهون بمدى انتشار الوعي الثقافي بين مختلف فئات المجتمع الجزائري، فأنشأ المدارس والمساجد والزوايا في أنحاء الوطن لتعليم الأطفال وتحفيظ القرآن¹⁸، وشجع على طلب العلم، وأعطى التحفيزات ومرتببات للمدرسين من إخراج نخبة مثقفة واعية حاملة للرسالة الحضارية.

كان الأمير يحرص بنفسه على صيانة الكتب والمخطوطات، فقد أنشأ مكتبة كبيرة لتجميع المؤلفات والمخطوطات ذات القيمة، فقد كان متحمسا لقراءة الكتب فاستطاع أن يؤسس مكتبة ضخمة تعد من أغني المكتبات في تلك الفترة¹⁹، فجعل هذه المكتبة في الزمالة حيث فض الاستعمار الفرنسي على المكتبة الأمير عبد القادر وأتلفها في حادثة الزمالة 10 ربيع الأول 1259هـ/ 10 ماي 1843م²⁰، التي كان بها من نواذر المخطوطات ونفائس المؤلفات بلغ عددها خمسة آلاف مخطوطة مجلدة تجليداً فاخراً²¹، حيث تم تدمير هذه المكتبة وإتلاف الكتب والمخطوطات، في حادثة الزمالة وحزن عليها الأمير حزناً شديداً، وقد جمع بيربروجر الذي رافق حملة كلوزيل على معسكر وتلمسان سنة 1835 كيف استولى على المخطوطات والوثائق²²، وقد تتبع الأمير مسار الجيش الفرنسي بعد حادثة الزمالة وكان يومئذ يتقزز من ألم ألم به وهو يرى أوراق كتبه الثمينة المبعثرة والممزقة على طول الطريق الجيش الفرنسي والتي كلفته جهدا بالغا لجمعها منذ رحلته الأولى للحج²³، فقد الأمير ثمرة أتعابه وجهوده طوال السنين وهو يرى جهده يذهب هباءاً منثوراً، ولقد أبدى الأمير من خلال بناء لدولته اهتماما كبيرا بالعلم والعلماء وأحاطه بالعناية اللاتفة والرعاية الدائمة، من خلال التشجيع على طلب العلم والاهتمام بالمدرسين وبناء المدارس والمساجد من أجل النهضة والارتقاء وبعث روح التحرر من الجهل السائد في تلك الفترة، أظهر الأمير تقديره وعنايته التي كان يخصص بها علماء وطلبته أثناء تنظيمه لدولته، وذلك من أجل المحافظة على الكيان الإسلامي والعربي للجزائر ولتحقيق معالم مشروعه الحضاري.

4.1. النظام الصحي في دولة الأمير عبد القادر

أولى الأمير عبد القادر بالأوضاع الصحية والطبية اهتماما كبيرا فأدرك أنه وجب عليه الاهتمام بالرعاية الصحية للمجتمع الجزائري مما جعله يفكر في إنشاء منظومة صحية من أجل الحفاظ على صحة شعبه وذلك من خلال بناء المستشفيات وتوظيف أطباء متميزين بشهرتهم في المجال الطبي، حيث أوجد الأمير مصلحة مختصة في الطب العسكري، ووضع على رأسها طبيبا له شهرة في عصره وهو أبو عبد الله الزروالي المتخصص في الطب، ساعده في مهمته الدكتور وارنيي Warnier الطبيب الفرنسي بقنصلية وهران مع النقيب دوماس Daumas²⁴، عرف عن الطبيب الزروالي خبرة وحنكة في العلاج والجراحة ومعرفة واسعة

بالأعشاب الطبية وخصائصها العلاجية والجراحية²⁵، يقول صاحب التحفة عنه: "كان عالما بخواص الأعشاب على اختلاف صنوفها، وكان يخرج الرصاص من داخل العضو المصاب بوضع عشب على مدخله، فيخرج بعد بضع ساعات من موضعه بسهولة، حيث اجتهد الأمير في وضع آليات توفير الأطباء والجراحين وجميع وسائل المحافظة على الصحة وجلب والاستعانة بالأطباء الأجانب من البلدان واكتساب خبراتهم العلمية والطبية في المجال الصحي، ولم يحرم عامة الناس الجزائريين من الخدمات الاستشفائية للأطباء الأجانب، ومنح للأطباء الأجانب حرية التنقل في الأراضي الخاضعة لسلطته وحاول كذلك إنشاء مدرسة عليا للطب لكن لم يوفق ذلك بسبب قصر مدة الهدنة".

قام الأمير عبد القادر بإنشاء المارستانات متنقلة (المستشفيات) لمرضى العساكر في كل المقاطعات وعين في كل مستشفى أربعة أطباء ذوي كفاءات وقد حاز بها الفضل على من سبقه من الملوك في المغرب²⁶، وكان من المشاهير الأطباء في فترة الأمير الحكيم محمد بن زرقة وهو طبيب جراح في جيش الأميري، فهو شخصية فذة قد لعبت دورا بارزا، بل مصيريا أثناء وبعد المقاومة المسلحة للأمير عبد القادر الذي سهر على صحة كل من الأمير وجيوشه، فقد عالج الجميع وهو لا يدخر جهدا من أجل سلامة وراحة الجميع²⁷، وكان الأطباء هم المشرفون على تدريب الممرضين الذين كانوا يختارون من بين الجنود الذين تتوفر فيهم صفات اللياقة، البشاشة طيبة المعاشرة، والشعور الإنساني المرفه، فيرتقي ذوي الاستعدادات والمهارات منهم الرتب الأعلى في السلك الطبي²⁸، ويذكر "قدور بن رويلة" في كتابه أن الأمير كان يرأف كثيرا بجنده لدرجة أنه وضع قانونا واضحا خاصا بالجرحى والمرضى وعائلات الشهداء، إذ يذكر في أحد بنوده عن المعطوبين في الحرب: "... إن تعطل بالكلية يجري عليه راتبه إلى أن يموت"²⁹، ويتبين بأن الأمير كان يولي اهتماما بليغا بالنظام الصحي من خلال سياسته العلاجية وارتكزت على مبادئ نذكر منها:

وَضَع سياسة وقائية وصحية للمحيط، بناء المستشفيات لاستقبال المرضى والجرحى العسكريين وكذلك المدنيين، وتؤمن كذلك الغذاء والرعاية الصحية، وانتقاء الموظفين ليؤمنوا العلاج في المراكز الصحية على أساس مبادئ أخلاقية، تربوية وبدنية، والتحسين المتواصل لمعارف الموظفين المساعدين للأطباء والجراحين، وإقامة ورشات لصناعة الأدوية انطلاقا من الأعشاب، ووضع نظام تأمين اجتماعي يسمح بالتكفل بالأشخاص الذين لا يقومون بالخدمة الفعلية مؤقتاً بسبب المرض أو الإصابات الحربية أو المعفيين، والدعوة إلى التعاون في حالة لم تسمح الوسائل المحلية بحل المشاكل الصحية³⁰.

بالنسبة للأمير إن امتلاك نظام صحي ناجح، لم يكن نابعا فقط من مقتضيات فرضتها الحرب والحاجة الملحة لمعالجة العساكر المصابين، ولكن في الواقع يعود إلى الفريضة الدينية التي تفرض المداواة والتطبيب والرعاية الصحية والوقائية من الأمراض والأسقام، فقد قام الأمير بالاهتمام بالأطباء والممرضين من حيث وضع قانون التنظيمي للأطباء وتوفير المعدات الصحية والأدوية، تحمل رعاية ومسؤولية كبيرة للأطباء، واهتم بالمرضى الذين يتعين عليهم مساعدة الأطباء، وخلق بينهم جسرا بين التكوين الطبي وشبه الطبي، وسمح

للمرضين المتفوقين بإتباع تكوين يمكنهم من الارتقاء إلى أطباء، ويستفيد الأطباء نظير جهودهم من مزايا وهدايا قيمة ومميزة بالنسبة لهم من طرف الأمير، وعلق مدون فرنسي على المزايا التي يتمتع بها كبير أطباء العسكر المحمدي فكتب: "بالتأكيد لم يكن كبار الأطباء في جيوشنا الجمهورية القديمة أفضل معاملة منهم"³¹، هكذا كانت الرعاية الصحية منظمة في دولة الأمير في شكل نظام وطني منظم له أسس ومبادئ وقواعد تسيّر هذا النظام الصحي، وكذا المكانة الرفيعة والاحترام التي منحها الأمير للأطباء وإرشاداتهم. عني الأمير عبد القادر عناية خاصة، بتهديب أخلاق شعبه وتربيته، فحرم شرب الخمر، ولعب القمار، والتدخين، كما برزت إنسانيته في تعامله مع أسرى الحرب، فقد أقرّ الأسرى بذلك بكرمه وشهامته معهم، واحترامه لشعائهم والرفق بهم، ومعاملتهم معاملة طيبة حسنة، حيث بلغ عدد أسرى الأمير حسب المؤلفات الفرنسية على أقل تقدير ألفي أسير استقبلتهم تلمسان ومعسكر، والمدية، وندرومة، وتاقدمت، ومليانة، وتازة³²، أضف إلى ذلك أنه كان حريصاً على سلامة صحتهم وتقديم الرعاية الطبية اللازمة وتوفير المأكل والمشرب، وفي كل هذه الأفعال النبيلة لعبت والددة السلطان دوراً مهماً في رعاية الأسيرات التي بلغ عددهن العشرين، حيث كانت معاملتهن أفضل من معاملة الرجال وتحت الرعاية المباشرة لوالدة الأمير، وكذا المعاملة الطيبة التي وجدها الأسير بورت دو فو الطبيب العسكري، الذي وجد هذا الأسير الراحة لدى لالة زهرة³³، وبذلك أرسى الأمير منهاجاً قوياً وأصيلاً في تعامله مع الأسرى في المعاملة الطيبة ومواقفه الإنسانية النبيلة معهم واحترامهم ورعايتهم وحمايتهم والمحافظة عليهم وضمان حقوقهم وفق المبادئ الأخلاقية والقيم الإنسانية.

2. الأوضاع الصحية في الجزائر في عهد دولة الأمير عبد القادر

كان للاحتلال الفرنسي للجزائر خلال القرن التاسع عشر تأثير سيء على الوضع الصحي والوبائي للسكان الجزائريين، فبعد الأوبئة التي سجلت في القرنين السابع عشر والثامن عشر حلت الفاجعة المميتة الناجمة عن ظهور الكوليرا، والتيفويد، والزهري، والسل، والمجاعات، وثبت في العديد من المؤلفات المحلية والأجنبية أن الجيش الفرنسي والمعمرين كانوا سبباً في العديد من هذه الأوبئة والأمراض وانتشارها، حيث سجلت الحملة العسكرية الفرنسية لوحدها أكثر من 70 ألف جندي بإضافة إلى المستوطنين الذي توافدوا على الجزائر طيلة القرن التاسع عشر الميلادي، وقد سجلت أبرز هذه الأوبئة في عام 1834، 1835، 1837، 1839، 1849... الخ.

ومن الأمراض الشائعة في دولة الأمير نجد الجرب، الزهري، الحصبة، الجدري، الدامل، الإسهال، الأورام الخبيثة، والتهابات العين³⁴، وسنحاول رصد أهم الأوبئة التي انتشرت في سنوات المقاومة الأمير عبد القادر في ربوع بلاد الجزائر والتي كانت لها نتائج وانعكاسات وخيمة على الأحوال الصحية وعلى الوضع الديمغرافي للجزائر، على الرغم من صعوبة ذلك لتقديم إحصائيات عدد ضحايا الأوبئة وكذا تواجدها في مناطق البلاد لتشتت المادة العلمية وكذا عدم ضبط الأرقام بشكل دقيق وتام، ومن أهم الأوبئة التي انتشرت نحاول ذكرها على السبيل المثال لا الحصر منها:

1.2. الأوبئة

1.1.2. الطاعون

هو مرض معدي عرفه المسلمون منذ القديم، وإن هذا الوباء لم يكن وليد البيئة الجزائرية بل غريب عنها، انتقل للجزائر عن طريق المجندين والحجاج والطلبة والتجار القادمين من منطقة الشرق في مواسم حدوث الوباء³⁵، ويعتبر وباء الطاعون وباءاً مستوطناً في الجزائر خلال الفترة العثمانية وفي القرن التاسع عشر³⁶، وتميز القرن التاسع عشر بنسبة أكبر من أوبئة الطاعون فناهزت سنوات ظهور الطاهون سبعين سنة³⁷، حيث "ظهر وباء الطاعون بقسنطينة في عام 1835م وخلف 1500 ضحية في ظرف ثلاث أيام"³⁸.

2.1.2. الجدري

أو تزارزابت مرض شديد العدوى قد يسبب عاهات كالعمى والصمم، وحتى الوفاة، كان الجدري معروفاً في الجزائر في شكل أوبئة دورية منتظمة كل ثلاث سنوات أو أربع سنوات في اعتقاد السائد عن العرب³⁹، ظهر في فترة الاستعمار الفرنسي في جانفي 1831م ودام إلى غاية 1932م مخلفاً عدداً كبيراً من الضحايا الفرنسيين والجزائريين واليهود، ثم بعدها يظهر في فترات لاحقة بمستويات متفاوتة من سنة 1830 إلى سنة 1843 الذي أدى إلى وفيات عديدة، ومن أهم الفترات الذي ظهر فيها الوباء، في عام 1832م عمّ الجدري مدينة الجزائر، ومسّ العرب واليهود بشكل خاص، وفي عام 1838م أشير إلى ظهور الوباء الجدري بضواحي جيجل وبدءاً من هذا العام تميز الجدري باجتياحه جميع المناطق الشمالية للبلاد حتى عام 1850م، حيث تظهر الأرقام عدد الوفيات في بعض الولايات خلال فترة الأمير عبد القادر منها نذكر على سبيل المثال:

- 1839 بالجزائر أدى إلى وفاة 78 مسلمات من بين 143 حالة وفاة مسجلة.

- 1840 بقسنطينة أصيب 2000 شخصاً مخلفاً عدداً كبيراً من الضحايا.

- في عام 1846 بالمدينة قتل أكثر من 300 طفل خلال شهرين⁴⁰.

3.1.2. الملاريا

ظهر وباء الملاريا أول مرة في الجزائر في 26 سبتمبر 1834 بالمرسى الكبير وقد جلب من إسبانيا وجبل الطارق من قبل المهاجرين، حيث أودى بحياة 525 وفاة في تلك السنة ثم انتشر عبر ربوع البلاد خاصة معسكر الذي توفي فيها 1457 شخص، وفي سنة 1835 عرفت قسنطينة وفاة 381 شخصاً⁴¹، وفي ما يلي التسلسل الزمني لأهم السنوات التي بلغ فيها الوباء ذروته في الجزائر: 1831-1832-1834-1837-1838-1839-1840-1841 خلف هلعاً للسكان الجزائريين، وقد كان أكثر الناس إصابة هم المستوطنين وجنود الاحتلال والعمال الجزائريين الذين سخرُوا لعملية شق الطرق⁴².

4.1.2. التيفوس

سجل ظهوره كذلك بالجزائر سنة 1842م بمدينة وهران وتلمسان تحدث عنه أسبل Hasepl، وهو من الأمراض التي ابتليت بها الجزائر في شكل وباء مستوطن طيلة القرون وهو أكثر الأوبئة التي عرفت الجزائر خلال القرن التاسع عشر بعد وبائي الطاعون والكوليرا⁴³.

5.1.2. الكوليرا

تعد أخطر الأوبئة في الجزائر خلال القرن التاسع عشر، من الاحتلال الفرنسي للجزائر، فبعد انتشار وباء الطاعون الذي حصد الآلاف من سكان الجزائر في أغلب فترات العهد العثماني، جاء بعده وباء الكوليرا الذي ترك آثارا سيئة على المجتمع الجزائري، بدأ ظهوره سنة 1834م، حيث وصل إليها من أوروبا رغم الإجراءات الاحترازية التي قامت بها السلطات الاحتلال آنذاك من خلال إنشاء الحجر الصحي، حيث عرفت الجزائر من سنة 1834م إلى 1914م أكثر من خمسة عشر (15) مرة لوباء الكوليرا، وكانت بداياته الأولى في وهران في جويلية 1834م، أدى إلى وفاة ما بين 1000 و 1050 حالة وفاة⁴⁴، ثم بدأ في الانتشار في كامل البلاد في مدينة الجزائر ظهر في جويلية 1835م، أدى إلى وفاة 429 عسكري فرنسي، وفي 22 أوت خلف عددا من الضحايا يقدر بـ 1220 مدني و 639 في صفوف العسكريين، وظهر الوباء مرة أخرى سنة 1837 بشكل خفيف⁴⁵، وظهر في قسنطينة من شهر فيفري 1834م محصور داخل المدينة دون خارجها خلفا 1500 ضحية يوميا، وبين أكتوبر ونوفمبر تسبب الوباء في وفاة 850 شخص بمدينة عنابة ومجاورها⁴⁶، وظهر مرة أخرى سنوات 1835، 1837، 1839م خلفا ضحايا بالآلاف في الشرق الجزائري. كما تذكر لنا هذه التقارير سواء العسكرية أو المدنية منها إلى التسلسل الكرونولوجي لهذا الوباء إلى غاية 1848 لتبين لنا أن السفن القادمة من الضفة الأوروبية هي السبب الأول والرئيسي في نقل الوباء إلى جميع مناطق الوطن⁴⁷، حيث تسبب الكوليرا في دمار رهيب في جيش الأمير عبد القادر وفيمن مليانة ومعسكر والمدية والبليدة حيث كان عدد الوفيات وفاة واحدة من بين كل أربع أشخاص⁴⁸. إن هذه المعطيات العددية والإحصائيات دائما هي نسبية وتنقصها الدقة والموضوعية في غياب إحصائيات رسمية توثق لهذه الأزمات، وهذا ما يصعب تحديد الأرقام الحقيقية والمضبوطة عن عدد الضحايا الأوبئة خلال تلك الفترة بسبب تنوع الكوارث الطبيعية من جهة والأوبئة، التي تحول دون معرفة الأرقام التي تعكس صورة الوضع الصحي. لعدة عوامل منها لعدم ثقة الجزائريين في الطب الفرنسي في بادئ الأمر وكذا عدم السماح الإدارة الفرنسية في معالجة الجزائريين في تلك المستشفيات إلا بعد سنوات، وأما باقي الجزائريون فقد بقوا منعزلين في قراهم، ونفورهم من المستشفيات، ولم يكن لهم اتصال بالأطباء الفرنسيين مما صعب من مأمورية التعرف على الأوبئة والإحصائيات وهذا يرجع إلى عدم التصريح بالوباء من قبل الجزائريين لدى المستشفيات أو المصالح المتخصصة في ذلك، وتفضيلهم العلاج التقليدي، لكن أغلب هذه الدراسات تجتمع حول شيء واحد ألا وهو الخسائر البشرية الهائلة لهذه الأوبئة والأمراض.

2.2. المجاعات

كانت المجاعات التي شهدتها الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي هي الأسوأ في تاريخ الجزائر من حيث حجمها وعدد ضحاياها، وترجع أسباب هذه الأوبئة إلى السياسة المنتهجة من طرف الاحتلال الفرنسي من تجريده عن أراضيه، ومصادرتها، نهب وسلب الممتلكات، لخلق أكبر عدد ممكن من مراكز الاستيطان الأوروبي التي تعتبر أكبر ضمان للتواجد الفرنسي في الجزائر، التي استخدم فيها النظام الاستعماري عدة طرق، المشروعة وغير المشروعة، السلمية والعنوانية، بالرغم من الصراع المرير من طرف السكان ضد الاحتلال طيلة سنوات 1830-1870م، يدل على أن الفلاحين مازالوا متعلقين كل التعلق بأراضي أجدادهم⁴⁹، بالإضافة إلى سياسة الأرض المحروقة التي انتهجتها الجيش الفرنسي استهدفت المواشي والنبات والأشجار، وكثرة الضرائب على السكان الذي أصبح المجتمع الجزائري مهدد بالفقر والجوع والمرض وعُرصة لعدة المجاعات مرعبة وقاتلة في تلك الفترة والتي تترتب عن تلك المجاعات انتشار الأوبئة والأمراض التي تهدد حياة السكان، حيث تم تطبيق سياسة اقتصادية مجحفة تمكنت من خلالها السلطات الاستعمارية، حيث أصبحت ظاهرة الجوع مرافقة للشعب الجزائري طيلة فترة الاحتلال وتزداد خطورتها وتظهر للعيان إذا ما اقترنت بالعوامل الطبيعية كالجفاف والجراد⁵⁰، وسلسلة من قوانين متعلقة بفرض الضرائب على الجزائريين طيلة فترة الاحتلال الفرنسي⁵¹، أدت هذه السياسات إلى التدهور الاقتصادي لدى الجزائريين أدت بهم إلى العجز مصادر الدخل على تغطية نفقاته وظهور الفقر وضعف القدرة الشرائية سببت في هذه السكانية لأراضيهم هروبا من الأوبئة وتركهم لممتلكاتهم.

وقد ارتبطت المجاعات في الجزائر إلى حد كبير بفترات الجفاف التي صاحبها غزو الجراد، وما يلاحظ بشكل عام هو أن المناخ في الجزائر متقلب فالأمطار غير منتظمة حتى عندما تكون وفيرة في الخريف والشتاء، فقد أثرت بشكل واسع على المحاصيل الزراعية التي تعتبر القوت الأساسي للشعب والتي يعتمد عليها بشكل واسع.

وساهم الاحتلال الفرنسي بشكل كبير في ظهور المجاعات بسبب سياساته الاحتلالية في ظهور المجاعة منها سنة 1837 بقسنطينة عرفت باسم عام مطر التراب الأحمر، عقب الدمار الذي شنه الجيش الفرنسي في المدينة عام 1837، أدت لارتفاع أسعار الحبوب ونهب المحاصيل الزراعية والمنتجات الغذائية للسكان أثرت بشكل واسع على السكان، وظهرت بعدها مجاعة 1847 بقسنطينة لمدة ثلاث سنوات متتالية وكانت بسبب الجراد الذي غزاها في مرة الأولى ثم تلاها في السنوات المتتالية فارتفعت الأسعار الحبوب وانتشر فيها الغلاء والجوع وارتفاع عدد الفقراء وتدهور الصحي نتيجة سوء التغذية ونقص القوت وعدم وجود المأكّل أدى إلى التدهور الصحي الذي أصبح عرضا أكثر فأكثر لمختلف الأوبئة والأمراض المميتة التي أدت في الأخير إلى وفاة ثلث سكان البلاد طيلة سنوات القرن التاسع عشر الميلادي، وأيضا ساهمت الأمراض وأوبئة الكوليرا والتيفوئيد والزحار في القضاء على الجيش الفرنسي، وقد سجلت في النصف الثاني من سنة 1840 أكثر من

8000 حالة وفاة و 114000 حالة استشفاء، مقابل 76 ألف في سنة 1839م⁵²، لقد أثرت المجاعة في الوضعية الصحية للبلاد حيث تسببت في سوء التغذية، وأصبح الإنسان عرضة لمختلف الأوبئة القاتلة التي أودت بحياة العديد من السكان الجزائري، وكذلك أدت بهجرة السكان من أراضيهم نحو المدن وبيع أراضيهم وحيواناتهم، وكذا الهجرة نحو البلدان الأخرى، تلك الآثار السيئة التي خلفتها المجاعات في الجزائر على البنية الاجتماعية في الجزائر .

3. الهياكل الصحية الاستعمارية في الجزائر

لقد نقل الفرنسيون أطباءهم ووسائلهم إلى المراكز التي احتلوا في الجزائر، وفتحوا عدة مستشفيات منها العسكرية والمدنية والعيادات، وحاول بعض أطبائهم التعرف على أمراض البلاد ووسائل علاجها بالطرائق التقليدية وكذا دراسة تاريخ الأمراض والطب التقليدي في البلاد، وكانت مدرسة الطب أول ما افتتحوا من المدارس العليا، وكان في كل مكتب تقريبا طبيب ملازم⁵³، ومن الإجراءات الفرنسية المتعلقة بالأحوال الصحية والتي كان لها انعكاس مباشر على الوضع الديمغرافي بالجزائر، إنشاء ما يعرف بالمكتب الصحي في 28 جويلية 1830 حيث عين لإدارته موظف عسكري يعرف بمسؤول المكتب الصحي بالجزائر Le Capitaine du Bureau Sanitaire d'Alger الذي ربط نشاطه بمسؤولي الإدارة الصحية الفرنسية بمرسليها وأوكل له الإشراف على هيئة مكلفة بمراقبة الوضع الصحي بالجزائر⁵⁴، وانطلاقا من عام 1833 شرعت السلطات الفرنسية في توسيع شبكة المكاتب الصحية على مستوى بعض المدن الجزائرية، وهكذا تم تأسيس مجلس الصحة العمومية Bureau de salubrité publique de bougie ببجاية في تاريخ 25 أكتوبر 1833⁵⁵، وحاولت السلطات الفرنسية فرض نظام الحجر الصحي (الكرنيتية) في الجزائر وهذا ما جعلها تتحكم في انتشار الأوبئة والحد من أضرارها الصحية على المجتمع الجزائري والمستوطنين والجيش الفرنسي أيضا.

حاولت فرنسا بسياساتها بتوجيه الأطباء الفرنسيون نحو بيوت الأهالي للعلاج دون مقابل، بداعي التقارب مع الجزائريين ودمجهم في المجتمع الفرنسي، كما أنشأت دورا خاصة بالأيتام والعجزة ونشرت بينهم فكرة العلاج، التي أصبحت فيما بعد وسيلة لنشر التنصير بين الأطفال اليتامى وعامة الناس، مما جعل الجزائريين يتوجسون خيفة من هذه مراكز العلاج والمستشفيات وحتى التقارب مع الأطباء⁵⁶، وعقيدة الطب عن الجزائريين كانت دينية واجتماعية، فالدين كان يحث على معرفة الطب والوقاية من الدين، ويحث على العلاج وحفظ البدن، حيث عرفت الممارسات الطبية نوعين منهم علمي قائم على التجربة والملاحظ واستخدام الوسائل المادية بطريقة عقلية، ولكن الجهل والتخلف والاستعمار منعت من تطوير الممارسات لكي تصبح علمية بمعنى الكلمة، والنوع الثاني من الممارسات فقد كان خرافيا قائما على السحر والشعوذة وبعيدا كل البعد عن الدين والعلم⁵⁷.

قام الاحتلال الفرنسي بإنشاء مجموعة مستشفيات ومصحات متنقلة ومستوصفات من قبل السلطات العسكرية والفرق المصاحبة للغزو، حيث خصصت هذه المستشفيات العسكرية والمدنية وفقا لوجود قواتها

ولصالح مستوطنيتها، وقاموا كذلك بتحويل المساجد والزوايا إلى هياكل صحية، حيث عرفت الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي بتقديم الرعاية الطبية للمرضى حيث عرفت سنة 1830 أكثر من اثنتي عشر زاوية في الجزائر العاصمة خصصت مقراتها كمراكز لتقديم العلاج ومصحات ودور النقاها لرعاية الجنود⁵⁸، ثم تم الاستيلاء عليها وتحويلها إلى مستشفيات عسكرية لخدمة جيش الحملة نذكر منها جامع الباشا الحاج حسين ميزمورطو⁵⁹، زاوية تشكتون، وجامع خضر باشا⁶⁰، ومسجد الجنائز، ومسجد علي بتشين⁶¹، وجامع سيدي الرحي⁶²، مسجد سابط الذهب⁶³، وفي قسنطينة جامع رحبة الصوف⁶⁴، جامع القصبة⁶⁵، جامع سيدي أبي مروان بعنابة⁶⁶، ومسجد شرشال، ومسجد البليدة، ومن الزوايا نذكر زاوية أبي التقي (شخطون)⁶⁷ وغيرها كثير لا يكفي المقال لذكرها، وكذا تحويل المؤسسات الحكومية وأملاك الحكام الجزائريين من المنازل والفيلات التي حولت إلى مراكز استشفائي.

تواصل استغلال الفرنسيين لمختلف المواقع الهامة لبناء المستشفيات العسكرية في مختلف أنحاء تواجد الجيش الفرنسي، وانتشار المستوطنين بدأ إنشاء مستشفيات جديدة منها مستشفى الداي بالعاصمة 1830، ومستشفى وهران 1832، ومستشفى البويرة ومستغانم 1835، وبعدها قالمة 1837، حتى بلغت اثنان وعشرين مستشفى سنة 1843 منها 15 في عمالة الجزائر، وخمسة في عمالة وهران، وواحد في عمالة قسنطينة، لتصل سنة 1845 إلى ثمانية وثلاثون مستشفى بطاقة استيعاب 13700 مريض⁶⁸، ثم جاءت فكرة إقامة المستشفيات المدنية في الجزائر لصالح الأوروبيين دون إغارة أدنى اهتمام لصحة الجزائريين رغم التدهور الصحي الرهيب، تم تأسيس مستشفيات مدنية سنة 1832 في كل من الجزائر وهران وعنابة بالإضافة إلى مركز استشفائي في بجاية سنة 1834 وآخر في منطقة الدويرة سنة 1835 إضافة على المركز الاستشفائي في مستغانم وقالمة 1837 والبليدة وقسنطينة سنة 1839⁶⁹، وفي الإطار التنظيمي أعد أحد الضباط الصحة الفرنسيين هيكلة حول أعداد المستشفيات وتواجدها ضمت سبعة وعشرين مستشفى في الجزائر من بينها خمسة عشر في عمالة الجزائر، وخمسة في عمالة وهران، وسبعة في عمالة قسنطينة، ليرتفع العدد فيما بعد من سنة 1848 ليصبح ثلاثة وثلاثين مستشفى بسعة استيعاب 13700 سرير⁷⁰، ليبلغ عددها عام 1845 حوالي ثمانية وثلاثين مستشفى على مستوى البلاد أغلبها مدنية⁷¹، 418 يعمل في هذه المستشفيات عدد من الأطباء والممرضين وصل عددهم عام 1847 حوالي طبيب عسكري مهمته في إجراء عمليات الفحص والتلقيح والتطهير⁷²، بدأت عملية تقديم العلاج للجزائريين بتكليف الأطباء العسكريين بهذه المهمة بهدف التقرب منهم وكسب ثقتهم، منذ السنوات الأولى من الاحتلال، ونظرا للمسؤولية الثقيلة الملقاة عليهم الذين شاركوا في جميع العمليات الطبية العسكرية والمدنية حيث تجاوزت مسؤوليتهم بضرورة الحفاظ على صحة الجنود إلى وكلاء الثقافة الفرنسية، ويوفرون العلاج للمستوطنين، ويقومون بدورهم في العلاج والفحص والتلقيح وسط سكان البلاد، وهم مطالبون بالتغلغل داخل المجتمع الجزائري في القبائل والدواوير لمعرفة تقاليدهم وأعرافهم وكسب ثقتهم ومحاولة معرفة خبايا هؤلاء السكان⁷³، وهذا لم يسمح للجزائريين بالعلاج في بادئ الأمر عند الأطباء العسكريين والمدنيين إلا

عندما استفحلت ظاهرة تفشي الأوبئة وانتقال العدوى إلى المستوطنين، مما جعلت الاستعمار يقر بعدة إجراءات منها العلاج المجاني للجزائريين، وبناء طاقم طبي يخدم الجزائريين، وقيام بعملية التلقيح.

رغم كثرة عدد المؤسسات الصحية، فإن المستفيد الرئيسي منها هم الجنود والمستوطنون، وكان الشعب الجزائري من السيئ للأسوأ نتيجة العنصرية والتهميش الذي تعرضه له من طرف السلطات الفرنسية، وأما المراكز الصحية التي تقدم العلاج المجاني فكانت تحت الطابع التصيري والتبشيري، حتى تسهل على الحكومة الفرنسية تنصير المجتمع الجزائري وطمس الشخصية الإسلامية الجزائرية، حيث وزعت الأخوات البيض على العمالات الثلاث لتقديم المساعدات لأسباب إنسانية ظاهرية وباطنية الغرض التصيري، إذ اعتبر الطبيب وسيلة من وسائل التبشير الديني⁷⁴. إلا أن الجزائريين لم يكونوا مقاطعين للأطباء الفرنسيين وربما كانت المقاطعة مقتصرة على العامة الذين يخشون على أنفسهم من المزج بين الدين والطب أو لأسباب لغوية وحواجز حضاري⁷⁵، وهذا ما جعلت السلطات الفرنسية من الطب فرصة لخدمة الأغراض السياسية وتصبح أداة لنشر التنصير وتسريب أفكار الحضارة الفرنسية المزعومة، وبسط الهيمنة الفرنسية على المجتمع الجزائري مما جعل الطب والعلاج مظهر من مظاهر الاستعمار، وكذا التوغل وسط المجتمع الجزائري والتأثير عليه وحرية الوصول إلى الأسرة الجزائرية وبالضبط المرأة الجزائرية، باستعمال الطبيبات الفرنسيات لها الغرض⁷⁶.

ونظرا لما شهدته الجزائر أثناء السنوات الأولى للاحتلال وأمام وطأة وشدة الأوبئة الذي أودى في انهيار ديمغرافي رهيب، وأمام هذه الوضعية ظهر مشروع طبي جديد والمتمثل في عملية التلقيح الذي بدأ في مدينة الجزائر والذي لقي الرفض من طرف الجزائريين بالرغم من النداءات والتوجيهات المقدمة للسكان من خلال شرح فوائد وإيجابيات التلقيح إلا أن الرفض بقي قائما ولم يتغير الموقف السكان من ذلك⁷⁷، وسياسة فرض نظام الحجر الصحي قد مكنت من التحكم في انتشار الأوبئة والحد من أضرارها على المجتمع الجزائري وعلى المستوطنين، وقد أظهرت السياسة الصحية الفرنسية بالجزائر فيما بعد المحافظة وسلامة حياة الجنود والمستوطنين، وتوفير وسائل الوقاية والعلاج لهم حتى للمجتمع الجزائري بغية توفير اليد العاملة والاستفادة منها في المشاريع الاقتصادية الاستعمارية وعلى ضمان بيئة سليمة من الأوبئة تكفل للاستعمار الفرنسي ظروفًا صحية تساعد على انتشار الجيش الفرنسي في ربوع البلاد واستغلال الموارد الطبيعية والاقتصادية الجزائرية.

خاتمة

من خلال المقارنة التاريخية وكذا إبراز إسهامات الأمير عبد القادر في الرعاية الصحية وتقديم كل الجهود المبذولة في سبيل الحفاظ على المجتمع من جلب أطباء أكفاء وتكوين الممرضين وإنشاء المستشفيات كجزء من سياسته العامة في تسيير شؤون دولته وهذا بما أتيج له من إمكانيات في عصره بالرغم من قصر المدة الزمنية عمر إمارته للبلاد، وكذا الظروف السياسية الصعبة التي كانت تواجهه في المقاومة الشديدة مع الاستعمار، وعلى الرغم مما شهدته الجزائر من تردي الأوضاع الصحية في الجزائر في الفترة العثمانية، وازداد الأمر مع دخول الاستعمار الفرنسي الجزائري الذي حاول كذلك بدوره استعمال الطب كوسيلة لنشر الحضارة

الأوروبية داخل المجتمع الجزائري من خلال العلاج الجزائريين وإنشاء المستشفيات ونشر عمليات التلقيح من أجل معرفة عادات وتقاليده المجتمع الجزائري، وبالرغم من كل هذا لم ينل منه الجزائريون سوى الشيء القليل. وفي الأخير يمكننا أن نخرج بجملة من الاستنتاجات والملاحظات في الفترة دولة الأمير عبد القادر من بداية الاحتلال سنة 1832 إلى سنة 1847 من أهمها:

تعتبر مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري بتنظيمها السياسي والإداري والتخطيط العسكري أفضل ما قدمته في تاريخ المقاومات الشعبية.

كّون جيشاً وطنياً منظماً وموحداً على أحدث ما عرفت جيوش العالم من التنظيم، بناء من العدم، وهياً له الوسائل، وأنشأ مصانع السلاح والقلاع والحصون، وتنوع استراتيجيات القتالية الحربية، والمشروع إقامة الدولة الجزائرية الحديثة، بإنشاء وزارات ودواوين وسك العملة واختيار خلفاء أكفاء برهنوا على قدرتهم وكفاءتهم السياسية والحربية، وكذا الأخلاق العالية والرفيعة في معاملته مع شعبه ومجتمعه، وكذا المعاملة الرفيعة مع الأسرى جعلته محط الحديث الأسرى في تلك الفترة.

ساهم الأمير في يقظة المسلمين وحنكته الواسعة من خلال تنظيماته الإدارية والسياسية والعسكرية والثقافية والصحية، حيث ظهر تمكنه السياسي في ظهور مبدأ البيعة والشورى، وتأسيس الدولة الحديثة وتنظيم دواوينها، وتوحيد القبائل وإخضاعهم له، وكسب الاعتراف الفرنسيين له من خلال مفاوضاته مع القادة الفرنسيين وإبرام المعاهدات معهم، واستطاع تكوين جيش نظامي احترافي تحت إشراف قادة عسكريين أكفاء، يقاتل بحنكة وخبرة عسكرية فائقة أرهبت أعتى قوة عسكرية برية في العالم في ذلك العصر، وسجل بها أروع البطولات الجهادية، وسك نقوداً باسم الدولة الجزائرية، وأولى رعاية بتعليم جيل متعلم واعي، وشجع على طلب العلم واقتناء الكتب وجمعها، وعمل على إنشاء نظام صحي وتوفير جميع الوسائل للمحافظة على الصحة وتوفير العلاج والراحة للجنود.

ساهم الأمير بما لديه من إمكانيات في عصره في تقديم الرعاية الطبية والحفاظ على صحة مجتمعه من خلال بناء المستشفيات وعيادات وفتح صيدليات في مناطق الإقليم التابع له منها مليانة والمدية وبوغاز، وتلمسان ومعسكر، وتاقدامت، والأغواط، وسيباو، وبسكرة والتي وفرت العلاج لبعض الجزائريين القريبين منها، وجلب الأطباء وتكوين الممرضين ومنحهم الامتيازات التي تليق بهم وحاول بناء مدرسة عليا للطب، وأيضاً إنشاء نظام صحي عصري في الجزائر، وتحديث الطرق العلاجية من الأمراض، وجلب الأطباء الأجانب من أجل الاستفادة من خبراتهم وإمكانياتهم في سبيل تطوير الطب في عهده، وهذا ما جعله يعد من أبرز الشخصيات التي صنعت أمجاد الجزائر ضد الاحتلال الفرنسي وما حققه من إنجازات هامة في بناء مجتمع على أسس متينة، وغرس فيهم القيم الإنسانية والوطنية وتحسين السلوك الأخلاقي، ونشر العلم والمعرفة وتوفير الرعاية الطبية والصحية وتوحيد القبائل تتعاون فيما بينها.

تعرضت الجزائر خلال فترة الأمير عبد القادر لعدة آفات اجتماعية أثرت على الوضع الديمغرافي والاقتصادي للمنطقة وهذا كنتيجة لآثار السيئة المترتبة عن الأمراض والأوبئة التي كانت تجتاح الجزائر طيلة القرن التاسع عشر نتيجة عدة أسباب منها التواصل المستمر مع الخارج والتبادل التجاري، وكذا ارتباط هذه الأوبئة بالمجاعات والفقر وسوء التغذية وعدم احترام قواعد النظافة، والرعاية الصحية، كلها عوامل ساهمت في انتشار الأوبئة، ما سبب تراجعاً ديمغرافياً وانهياراً صحياً رهيباً.

قام الاستعمار الفرنسي في المقابل ببناء الهياكل الصحية من المستشفيات (العسكرية والمدنية) والمستوصفات والعيادات المتنقلة في مناطق انتشار جنودها والمستوطنين، بالدرجة الأولى ثم السكان الجزائريين، لمحاولة كسب رضا السكان واستعطافهم من أجل عدم انضمامهم للمقاومة الأمير عبد القادر.

إن المجتمع الجزائري عاش أوضاعاً صحية متدهورة أثناء بدايات الاحتلال وفي عهد الأمير عبد القادر خاصة نظراً لإهمال الرعاية الصحية من قبل السلطات الفرنسية وكذا انتشار الأوبئة في ربوع البلاد التي رافقت الحملات العسكرية الأولى للجيش الفرنسي متسبب في التدهور الصحي الرهيب في الجزائر نتيجة انعكاس السياسة التعسفية للإدارة الفرنسية على الوضع الصحي للإنسان الجزائري، وقد تنوعت هذه الأوبئة من الطاعون، والكوليرا، والملاريا، والتيفوس، والجذري وغيرها من الأمراض المعدية التي انتشرت في أوساط السكان الجزائريين أثرت بشكل كبير في التركيبة الديمغرافية والسكانية وعلى تدهور الحياة الاقتصادية والمعيشية للجزائريين، والتدهور على الحياة الثقافية والدينية من وفاة العلماء والأطباء، وغلق المراكز العلمية من المساجد والمدارس، وسياسة نهب وتجريد الشعب الجزائري من مصدر قوته ورزقه، حيث انتشرت المجاعات وسط السكان أودى بحياة السكان نتيجة الجوع وسوء التغذية، والتدني مستوى المعيشي للسكان واستفحال ظاهرة الهجرة نحو المدن وحتى نحو البلدان العربية، ومحاولات السلطات الفرنسية في استغلال عامل الطب والتطبيب في نشر التنصير والتبشير في أوساط الجزائريين باستغلال العلاج والمرض في سبيل نشر التبشير خاصة الأطفال اليتامى، هذا ما جعل انتشار الأوبئة والأمراض تنتشر بكثرة لدى الشعب الجزائريين خوفاً من العلاج لدى الأطباء الفرنسيين وعدم الثقة فيهم.

شهدت الجزائر دخول ممارسات طبية حديثة متمثلة في إنشاء المؤسسات علاجية وانتشارها عبر ربوع البلاد وفق تواجد الجيش والمستوطنين وتوفير بيئة صحية صالحة للاستيطان وإقامة تدابير وقائية مستحدثة كالتلقيح والتطعيم، كذا إجبارية التلقيح وسط الجزائريين لتفادي انتقال العدوى للمستوطنين مما أدى إلى القضاء - شبه الكلي - على بعض الأوبئة في الجزائر، وسياسة فرض نظام الحجر الصحي قد مكنت من التحكم في انتشار الأوبئة والحد من أضرارها على المجتمع الجزائري، وظهرت الدراسات الطبية المتخصصة والبحوث المعمقة من طرف الأطباء الفرنسيين في الجزائر تتناول الأمراض والأوبئة وطرق العلاج، نتجت عنها الوصل إلى اكتشافات هامة تمت على أرض الجزائر وكانت عاملاً من عوامل تطور الطب في العالم.

- 1- الحاج مصطفى بن التهامي: سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح وتق وتع: يحيى بوعزيز، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009، ص50. ينظر:
- Bellemare Alex: *Abd El-kader sa vie politique et militaire*. Hachette. Paris. 1863. P10.
- 2- ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، السعودية، 2001، ص ص155-156.
- 3- فريدة قاسي، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2012، ص61.
- 4- محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، تح: ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر، 2007، ص188.
- 5- المصدر نفسه، ص196.
- 6- محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر، 1985، ص37.
- 7- عبد القادر دحدوح، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1258-1285هـ/1836م-1842م) -دراسة تاريخية أثرية تحليلية-، دار الموفى للنشر، الجزائر، 2008، ص43.
- 8- يحيى بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس، 1983، ص92.
- 9- محمد بن موسى، نجا بية، "التنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر 1832-1847"، مجلة عصور، قسم التاريخ، جامعة وهران، المجلد 20، العدد 02، جويلية 2021، ص114.
- 10- هنري شارل تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص140.
- 11- مارسيل اميريت، الجزائر في عهد الأمير عبد القادر، تر: عبد الحميد بورايو، حيدر بوحبيب، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2014، ص418.
- 12- عبد القادر دحدوح، المرجع السابق، ص36.
- 13- بورويبة عبد القادر، "الأمير عبد القادر القائد العسكري (1832-1874)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر، عدد جانفي 2020، ص111.
- 14- تشرشل، المصدر السابق، ص141.
- 15- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص166.
- 16- أبو القاسم سعد الله، خلاصة تاريخ الجزائر - المقاومة والتحرير - 1830-1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2007، ص28.
- 17- يحيى بوعزيز، المرجع السابق، ص110.
- 18- خديجة شبيخي، المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي، إشراف: حقيقي نور الدين، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2، 2016-2017، ص256.
- 19- تشرشل، المصدر السابق، ص47.
- 20- سليمان قوراري، "شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات"، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة أدرار، المجلد 13، العدد 4، 2014، ص69.
- 21- عائشة بن ساعد: البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص ص318-319.
- 22- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص333.

- 23- تشرشل، المصدر السابق، ص 139.
- 24- قدور بن روبلة، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تق وتتح: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1968، ص 67.
- 25- جمال قنان، دراسات في المقاومة والاستعمار، المؤسسة الوطنية للاتصال والطباعة والنشر، الجزائر، 1998، ص 51.
- 26- محمد بن عبد القادر، تحفة الزائر، ج1، ص 203.
- 27- جيلالي صاري: "الحكيم محمد بن زرقة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر، مجلد 02، عدد 01، 2002، ص 319.
- 28- فتحي دردار، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، الجزائر، 2001، ص 94.
- 29- بن روبلة، المصدر السابق، ص 43.
- 30- مصطفى خياطي، الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 74.
- 31- خياطي، المرجع السابق، ص ص 28-29.
- 32- مصطفى خياطي، أسرى الأمير عبد القادر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 7.
- 33- خياطي، أسرى الأمير، المرجع السابق، ص ص 147-148.
- 34- خياطي، الطب والأطباء، المرجع السابق، ص 57.
- 35- علامة صليحة، "تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون - الجذري - التيفوس - الملاريا)"، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، عدد 02، جانفي 2015، ص 211.
- 36- عبد القادر قندوز، الطب والأوضاع الحصة بالجزائر خلال العهد الفرنسي 1830-1914، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: بوشنافي محمد، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2016-2017، ص 67.
- 37- فلة موساوي القشاعي، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، مجلد 01، عدد 01، 2001، ص 141.
- 38- مصطفى خياطي، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، الجزائر، 2013، ص 67.
- 39- يمينة مجاهد، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فغور دحو، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1، 2017-2018، ص 59.
- 40- خياطي، الطب والأطباء، المرجع السابق، ص ص 76-77.
- 41- المرجع نفسه، ص ص 157-158.
- 42- صليحة، المرجع السابق، ص 217.
- 43- المرجع نفسه، ص ص 109-110.
- 44- عبد القادر قندوز، المرجع السابق، ص ص 51-52.
- 45- المرجع نفسه، ص ص 53-54.
- 46- المرجع نفسه، ص 56.
- 47- فلة موساوي القشاعي، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2003-2004، ص 135.

48 -Augustin Fabre et fortune: Histoire du choléra-morbus asiatique depuis son départ des bords du gang en 1817 jussques à L'invasion du midi de la France en 1835.imp. Marius. Marseille. 1835.p401.

- 49- جيلالي صاري، **تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962**، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2010، ص9.
- 50- صليحة علامة، "افتعال المجاعات من أشكال الإبادة الجماعية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية"، مجلة المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، مجلد18، عدد2، 2016، ص191.
- 51- Anonyme: **La famine en Algérie et les discours officiels -erreurs et contradictions-**, Constantine, Louis Marie, 2eme édition, 1868, p08.
- 52- عبد اللطيف بن أشنهوا، **الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر**، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر، 2013، ص166.
- 53- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1998، ص224.
- 54- القشاعي: المرجع السابق، ص120.
- 55- القشاعي: المرجع السابق، ص123.
- 56- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، المرجع السابق، ص229.
- 57- سعد الله، المرجع نفسه، ص ص237-238.
- 58- مصطفى خياطي، **الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية**، منشورات Anep، الجزائر، 2013، ص67.
- 59 - المرجع السابق، ص43.
- 60- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج5، المرجع السابق، ص42.
- 61 سعد الله، المرجع نفسه، ص19.
- 62 - المرجع نفسه، ص20.
- 63- المرجع نفسه، ص58.
- 64- المرجع نفسه، ص80.
- 65- المرجع نفسه، ص81.
- 66- المرجع نفسه، ص93.
- 67- المرجع نفسه، ص118.
- 68 - عبد الرحمان تونسي، "الوضع الصحي والطبي في الجزائر 1830-1870(العهد العسكري)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مجلد03، عدد01، جانفي2021، ص146.
- 69-Yvonne Turin: **Affrontements culturels dans l' Algérie coloniale, écoles, médecines; religions1830-1880**, Enal, 2éme édition. Alger,1983; p13.
- 70- Yvonne Turin: op.Cit, p85.
- 71- قندوز، المرجع السابق، ص95.
- 72-Yvonne Turin: op.Cit, p85.
- 73- صليحة علامة، **الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 (عمالة الجزائر)-دراسة تاريخية-**، أطروحة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مبخوت بوداوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان، 2016-2017، ص327.
- 74- خديجة بقطاش، **الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871**، مطبعة دحلب، الجزائر، 1977، ص56.
- 75- سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج7، المرجع السابق، ص239.
- 76- صليحة علامة، "الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (أداة للهيمنة وحقل للتنصير)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، الجزائر، مجلد4، عدد4، 2018، ص ص142-143.

77 - Yvonne Turin: op.cit, p p345-347.

- قائمة المصادر والمراجع:

1- الكتب:

- بقطاش خديجة، (1977)، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1871، مطبعة دحلب، الجزائر.
- بن أشنهو عبد اللطيف، (2013)، الدولة الجزائرية في 1830 مؤسساتها في عهد الأمير عبد القادر، تر: لعراجي نور الدين، موفم للنشر، الجزائر.
- بن التهامي الحاج مصطفى، (2009)، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تح وتق وتغ: يحيى بوعزيز، ط1، دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر.
- بوعزيز يحيى، (1983)، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس.
- خياطي مصطفى، (2013)، الطب والأطباء في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية، منشورات ANEP، الجزائر.
- خياطي مصطفى، (2013)، الطب والأطباء في دولة الأمير عبد القادر، منشورات ANEP، الجزائر.
- خياطي مصطفى، (2013)، الأوبئة والمجاعات في الجزائر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، الجزائر.
- خياطي مصطفى، (2013)، أسرى الأمير عبد القادر، تر: حضرية يوسف، منشورات ANEP، الجزائر.
- دحدوح عبد القادر، (2008)، استحكامات الأمير عبد القادر العسكرية (1258-1285هـ/1836م-1842م) -دراسة تاريخية أثرية تحليلية-، دار الموفم للنشر، الجزائر.
- دردار فتحي، (2001)، الأمير عبد القادر بطل المقاومة الجزائرية 1832-1847، الجزائر.
- سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
- سعد الله أبو القاسم، (1998)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت.
- سعد الله أبو القاسم، (2007)، خلاصة تاريخ الجزائر -المقاومة والتحرير- 1830-1962، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- سعيدوني ناصر الدين، (2001)، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، السعودية.
- شارل هنري تشرشل، (1974)، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس.
- صاري جيلالي، (2010)، تجريد الفلاحين من أراضيهم 1830-1962، تر: قندوز عباد فوزية، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر.
- العلوي محمد الطيب، (1985)، مظاهر المقاومة الجزائرية، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، الجزائر.
- قاسي فريدة، (2012)، الدولة في فكر الأمير عبد القادر، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر.
- قدور بن رويلة، (1968)، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تق وتغ: محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.
- قنان جمال، (1998)، دراسات في المقاومة والاستعمار، المؤسسة الوطنية للاتصال والطباعة والنشر، الجزائر.
- محمد بن عبد القادر الجزائري، (2007)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، تح: ممدوح حقي، منشورات ثالة، الجزائر.

2- الرسائل الجامعية:

- بن ساعد عائشة، (2003-2004)، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، قسم التاريخ، جامعة الجزائر.

- شيخي خديجة، (2016-2017)، المقاومة الثقافية في فكر الأمير عبد القادر الجزائري، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علم الاجتماع الثقافي، إشراف: حقيقي نور الدين، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر 2.
- علامة صليحة، (2016-2017)، الأحوال الصحية بالجزائر خلال الاحتلال الفرنسي من 1830 إلى 1962 (عمالة الجزائر)- دراسة تاريخية-، أطروحة لنيل الدكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: مبخوت بوداوية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة تلمسان.
- القشاعي فلة موساوي، (2003-2004)، الصحة والسكان في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي (1518-1871م)، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: ناصر الدين سعيدوني، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر.
- مجاهد يمينه، (2017-2018)، تاريخ الطب في الجزائر في ظل الاستعمار الفرنسي 1830-1962، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: فغور دحو، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة وهران 1.
- 3- المقالات:**
- بن موسى محمد، بية نجا، (2021)، "التنظيم العسكري لجيش الأمير عبد القادر 1832-1847"، مجلة عصور، جامعة وهران، قسم التاريخ، مجلد 20، عدد 02.
- بوربونة عبد القادر، (2020)، "الأمير عبد القادر القائد العسكري (1832-1874)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، الجزائر.
- تونسي عبد الرحمان، (2021)، "الوضع الصحي والطبي في الجزائر 1830-1870 (العهد العسكري)"، مجلة الدراسات التاريخية العسكرية، مجلد 03، عدد 01.
- صاري جيلالي، (2002)، "الحكيم محمد بن زرقة طبيب وجراح جيوش الأمير عبد القادر"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد 02، عدد 01، الجزائر.
- صليحة علامة، (2015)، "تاريخ الأوبئة في الجزائر (الطاعون - الجذري - التيفوس - الملاريا)"، مجلة القرطاس للدراسات الحضارية والفكرية، جامعة تلمسان، عدد 02.
- علامة صليحة، (2016)، "افتعال المجاعات من أشكال الإبادة الجماعية في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية"، مجلة المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، مجلد 18، عدد 2.
- علامة صليحة، (2018)، "الطب الفرنسي في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية (أداة للهيمنة وحقل للتصوير)"، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، مجلد 04، عدد 04، جامعة الوادي، الجزائر.
- القشاعي فلة موساوي، (2001)، "وباء الطاعون في الجزائر العثمانية دوراته وسلم حدته وطرق انتقاله"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر 02، الجزائر، مجلد 01، عدد 01.
- قوراري سليمان، (2014)، "شخصية الأمير عبد القادر وتجلياتها من خلال بعض المؤلفات"، مجلة الحقيقة للعلوم الإنسانية، جامعة أدرار، مجلد 13، عدد 4.
- الكتب الأجنبية:**

- Anonyme: **La famine en Algérie et les discours officiels -erreurs et contradictions-**, Constantine, Louis Marie, 2^{eme} édition, 1868.
- Bellemare Alex: **Abd El-kader sa vie politique et militaire**. Hachette. Paris. 1863.
- Fabre Augustin et fortune: **Histoire du choléra-morbus asiatique depuis son départ des bords du gang en 1817 jussques à L'invasion du midi de la France en 1835**. imp. Marius. Marseille. 1835.
- Turin Yvonne: **Affrontements culturels dans l'Algérie coloniale, écoles, médecines; religions 1830-1880**, Enal, 2^{eme} édition. Alger, 1983.